

**عولمة الحركات الاجتماعية الاحتجاجية**  
**دراسة ميدانية لمجموعة من الحركات الاجتماعية السياسية في مصر**  
**د. عبدالحميد يونس زيد**

**أولاً : مشكلة الدراسة**

إن هذه الدراسة تستهدف تقديم قراءة نقدية لمفهوم الحركات الاجتماعية الاحتجاجية من واقع تراث علم إجتماع الحركات الاجتماعية الجديدة، وتفسيراً علمياً لطبيعة وبواعث قيام تلك الحركات ، والحدود الفاصلة التي تميزها عن المؤسسات والحركات المهتمة بالشأن العام والسياسى بصفة خاصة، وتقديم أساس نظري لتفسير واقع الاشكاليات البنوية لتلك الحركات الاجتماعية، وكذلك محتوى الخطاب التعبيري لها بالاضافة إلى أساليب التنظيم والتعبئة الجماهيرية التي تستند إليها، وقدرتها على الحوار السياسى مع مختلف القوى والتيارات السياسية والاجتماعية فى المجتمع وتوسيع القاعدة الجماهيرية المطالبة بالتغيير ومحاولة الكشف عن مدى فاعلية المثقف العضوي في بناء وتشكيل الحركات الاحتجاجية ومدى تأثير وسائل الاتصال والتقدم التكنولوجي والتأثير الدولي في نشأة الحركات في مصر، في سياق ماسبق تأمل الدراسة توضيح تأثير تجليات العولمة والمتغيرات الدولية على طبيعة الحركات الاجتماعية وعلاقتها بالقوى المجتمعية وعلاقة ذلك بأحداث يناير ويونيو .

**ثانيا : أهمية وأهداف الدراسة**

- ١- تقديم قراءة نقدية عن الحركات الاجتماعية الاحتجاجية .
- ٢- تحليل محتوى الخطاب التعبيري للحركات الاجتماعية الاحتجاجية .
- ٣- بحث مدى تأثير التقدم التكنولوجي في بناء وتشكل الحركات الاجتماعية الاحتجاجية .
- ٤- قراءة في طبيعة الحركات الاجتماعية وعلاقتها بالقوى المجتمعية في غضون يناير ويونيو .

**ثالثا : تساؤلات الدراسة**

- ١- ماهي ماهية الحركات الاجتماعية الاحتجاجية ؟
- ٢- ما أهم القضايا التعبيرية التي تنبأها الخطاب الذي تبنته الحركات الاجتماعية الاحتجاجية ؟.
- ٣- مامدى التأثير التكنولوجي في تشكل بنية الحركات الاجتماعية الاحتجاجية ؟.
- ٤- ماهي علاقة الحركات الاجتماعية الاحتجاجية بكافة القوى الاجتماعية الأخرى في غضون الحدث التاريخي ٢٥ يناير ويونيو ؟

**رابعا : مفاهيم الدراسة**

الحركات الاجتماعية الاحتجاجية .

## خامسا : الإجراءات المنهجية للدراسة

عمدت الدراسة إلى استخدام المنهج النقدي مستخدمين كافة المفهومات التحليلية للوصول لواقع الممارسة ، واعتمدت أيضا الدراسة إلى استخدام منهج دراسة الحالة لتقديم قراءة أكثر التصاقا بالواقع . باختيار عينات عمدية من أعضاء وفاعلين الحركات الاحتجاجية الاجتماعية المشاركين في فاعليات يناير ويونيو وذلك من خلال إجراء العديد من المقابلات المعمقة باستخدام دليل المقابلات المفتوحة، والتسجيلات الصوتية التي اسهمت بشكل كبير في اجراء تحليلات كيفية نقدية دقيقة.

## سادسا : نتائج الدراسة

**أولا :** استهدفت تلك الدراسة تقديم تحليل نقدي لطبيعة الحركات الاحتجاجية الحديثة قبل وأثناء يناير ويونيو، والتعرف على بنيتها وطريقة تشكلها وكيفية اهتمامها بالشأن العام المصري ومدى مساهمتها في التغيرات التي حدثت سياسيا واجتماعيا، وتحليل خطابات تلك الحركات ودراسة حالة لأهم قياداتها الفاعلة والمتففة التي تبوأت تلك الحركات ، ثم تمحيص آلياتها في الاستقطاب والحشد والتنظيم واستغلالها للبيئة والظرف التاريخي للأحداث وكيفية تفاعلها مع القوى الإجتماعية والسياسية المشاركة على أرض الواقع وماحدث من انقسامات وانتهازية واستغلال المواقف للمصالح الذاتية. إضافة إلى مدى الاستفادة من التقدم التكنولوجي ووسائل التواصل الاجتماعي والضغط والدعم المتواترة من الأطراف الدولية والاقليمية سواء كان تمويلا أو توفير الحماية، حيث أضحت وكأنها حركات احتجاجية كأحد تجليات العولمة.

**ثانيا:** لقد تأكلت كافة ركائز الشرعية للنظام قبل الثورة، حيث انحسرت الركائز الدستورية القانونية المستمدة من احترام النصوص واعمال القوانين وفرض هيبة الدولة في سياق تحقيق شروط العدالة والمساواة بين المواطنين، ولم يعد سوى دعامتي المؤسسة العسكرية والأمنية، حيث شكلت درعا لحماية النظام وتأمين وجوده، وترتبيا على ذلك بات إسقاط النظام مطلبات بل حلما يراوض الحركات الاحتجاجية الاجتماعية الجديدة منذ بدايتها في معترك الحياة السياسية.

**ثالثا:** لقد بات واضحا للمنظرين مع البدايات الأولى للقرن الجديد أن الأوضاع في مصر قابلة للانفجار في أي لحظة لأسباب متعددة، نوقشت بالتفصيل وتباينت أيضا استراتيجية النظام الحاكم في التعامل مع الرغبة المتنامية للتغيير وفقا للأجواء التي نشأت فيها وكذلك قدرته على ممارسة أنماط الضغوط لعقها ، ظل هذا السجال بين السلطة والحركات الاحتجاجية إلى أن سقط الخوف وتلاشت هيبة الدولة وأجهزتها الأمنية، وحتى أضحت ثورة الخامس والعشرين من يناير الظرف والسياق الاجتماعي السياسي الذي بلور قوى اجتماعية جدية حاولت المشاركة في الفضاء السياسي إن لم يكن احتكاره.

**رابعاً:** وفقاً للتصور والمفهوم الذي تبنته الدراسة للحركات الاحتجاجية ، وفي سياق المقاربة الميدانية، ابتعدت كثيراً الحركات والائتلافات التي عجت بها الميادين المصرية ، عن محددات مفهوم وطبيعة الحركة الاجتماعية السياسية الفاعله، بالرغم من توفر البيئة والظرف التاريخي ودوافع النشأة ورفض النظام ، ولكنها فيما يتعلق بالتنظيم وآليات الحشد والخطاب والتعامل مع القوى المزاحمة لها في الفضاء العام وكذلك التعبير وتمثيل المطالب العادلة لم تحقق سوى نجاحات محدودة، حيث لم تستقد كثيراً من معطيات الواقع .

وقد يرجع ذلك للإنفصال الذي تعانيه الحركات عن واقعها، وانفصال قادتها عن قاعدة المنتمين إليها من ناحية وعامة المواطنين من ناحية أخرى، حيث تعالو عن النزول بمطالبهم لتحقيق الإصلاح، إضافة إلى التحول نحو العولمة حيث أبت أن تكون حركات قديمة الصبغة ذات خصوصية الاهتمام بالشأن العام الخالص، لكنها انتقلت سريعاً للمجال الافتراضي على مواقع الانترنت، حيث تحولت تلك الخطابات إلى سلطة رمزية أرت على البعض وتجالها البعض الآخر.

**خامساً:** لقد تعاملت قيادات الحركات الاحتجاجية " كسلطة رمزية "، تارة على وفاق مع السلطة وهي بذلك تعيد إنتاج الهايبيتوس السلطوي من خلال المجال العام وتارة تصبغ نفسها بالمعارضة والاستماتة من أجل تحقيق التغيير المنشود، أن تلك التفاعلات والفضاءات التي تتحرك فيها الحركات المصرية، عبرت عن الانتهازية المفرطة تلك التي تسببت في الفرقة بين أعضائها والتشزم فقد شكلت مئات الائتلافات من بطون الحركات الرئيسية.

**سادساً:** بالرغم من أن الدراسة تعمدت تنويع الاتجاهات الايديولوجية للحالات الميدانية للمتقنين الفاعلين كقيادات بالحركات الاحتجاجية، إلا أنها خرجت بمؤدى فارق، وهو أن النموذج الحركوي المصري المعاصر يعاني من خطر تسييس الحقل الثقافي حيثما تتجه صوب نداءات الشارع ومصصلحة الشأن العام، حيث تواجد المنقف دائما في سياق الخطاب السياسي المطروح، حيث أضحت فكرة الالتزام الذي دعى إليها سارتر في طيات العدم فليس هناك مثقفا في الحركات الاحتجاجية الجديدة يجمع بين التزامه الايديولوجي وممارسته وتفاعله على أرض الواقع، وترتيباً على ذلك لم يكن هناك مثقفا حق مشاركا في أحداث ٢٥ يناير، بل كانت الفاعلية لقوى اجتماعية من النظام السابق بشقيه مؤيد ومعارض، بغرض الحفاظ على الامتيازات القديمة واقتسام المعطيات الاجتماعية والسياسية الجديدة.

**سابعاً:** رغم تعالي خطاب الحركات الاجتماعية الجديدة موضع الدراسة في كثير من المواقف، إلا أنه أكد على نشر ثقافة الاحتجاج والمطالبة وضرورة رفع الوعي الشعبي.

**ثامناً:** لقد أضافت الحركات الاجتماعية الاحتجاجية الجديدة بعدا جديدا من خلال اقام الفضاءات الالكترونية، بعد أن تعرض المجال العام للاضمحلال قبل الثورة بعشر سنوات، من جراء

مارسات الحزب الحاكم لتضييق على المعارضة وتهميش المجتمع المدني حيث تدنت مستويات المشاركة السياسية بالمجتمع المدني لأدنى مستوى.

**تاسعا:** لعبت السوشيا ل ميديا دورا فاعلا في حشد وتعبئة جهود المشاركين فيها لتنظيم حركة الاحتجاجات بالشارع المصري من مظاهرات واعتصامات واضطرابات، حيث تأثرت الحركات بانتشار المعلوماتية كما يذهب "ألريش بك " حيث حقق الانفتاح والسيولة الذي يمثل سلاحا ذو حدين على كافة المجتمعات العربية في ظل تدني كافة الحقوق الاجتماعية والسياسية.

**عاشرا :** لقد أكدت الحركات الاجتماعية الاحتجاجية إبان فترة الثورات والانتفاضات في الميادين المصرية على السجال بين الافتراضي والعام، فقد بدت الميادين معبرة حيث أظهرت الدراسة الميدانية أن القيادات المؤثرة في الحشد والتعبئة كانت قيادة افتراضية، تمتلك ميادين خاصة بها على صفحات الانترنت هم الأكثر فاعلية والأكثر قدرة على الاقناع والحشد، وقد أبدت تلك الحقيقة مقولات بعض المنظرين التي أكدت على انحسار المجال العام وهمينة الافتراضي، مستفيدة من التقدم التكنولوجي لوسائل الاتصال من ناحية وفقدان الثقة في النخبة التقليدية التي مارست العمل السياسي المعارض للنظام من ناحية أخرى وترتبطا على ذلك انتشرت مقولة أن الميادين التي تعج بالمتظاهرين أعدت لها وجهزتها الميادين الافتراضية لقيادات شابة تعلمت ثقافة الاحتجاج من مصادرها المتنوعة.

**حادي عشر:** الحركات الاحتجاجية في مصر افتقرت للتنظيم والرؤى الفكرية الناضجة ، فلم تحدد أهدافها بدقة، فقد فكروا في الاحتجاج والحشد وحينما تحقق سقوط رأس النظام، لم يكن هناك توافق على الخطوات التالية أو آليات التغيير، مستواه ومعدلاته واتجاهاته فحدث الاختلاف، وترتبطا على ذلك أظهرت الخبرة المصرية حاجة كافة تلك الحركات للتربية السياسية لاعداد قطاعات واسعه بين المشاركين والنشطاء، حيث ضرورة التخلص من النخبوية والاستعلاء على الجماهير والقوى السياسية، والمنظمات المهتمة بالشأن العام، فقد ربطت كثير من رؤى المنظرين الحركات في مصر بين تعديل الوعي وتحقيقه كشرط لقدرة الشباب في قيادة الحركة.

**ثاني عشر:** وصم الفاعلون الثوريون وقيادات الحركات بعضهم بسمات الانتهازية ، غير الانقياء وعدم الصدق، والتعالي والتخوين، مما أظهر عدم الثقة بين النخبة من ناحية وصدر تلك الصورة الذهنية للمواطنين ، وأضحى تنامي عدد الائتلافات وتبادلهم التخوين والاتهامات مؤشرا للانتهازية السياسية، حتى بعد أن حاولت بعض الحركات التحول للأحزاب أو مؤسسات لم تستطع أن تقيم لها قاعدة جماهيرية تعبر عن قوتها في مقابل القوى الأخرى.

**ثالث عشر:** لم تستطع الحركات الاجتماعية والتغلب على معضلة الهوية وعلاقة الدين بثقافة الاحتجاج من ناحية وتماسك واستمرار نجاح الحركة من ناحية أخرى، حيث عبرت معظم حالات الدراسة من التيارات المختلفة عن اتهاهم المباشر للقيادات وشباب الأخوان والسلف، وتحميلهم نتيجة ماوصلت إليه

الحركات من تشرذم وعدم تحقيق الاستمرار الفاعل، فقدت افتقدت الحركات الاجتماعية للعمل الجماعي في ظل غياب بنية ثقافية مدنية، حيث ساد بين شركاء التحالفات مشاعر الارتياب والكراهية والرغبة في تسيد سدة القيادة وحصد مكاسب ذاتية، حيث مثل الدين مصدرا للاختلاف السياسي بين التيارات الاحتجاجية من ناحية أخرى، ووجهت الاتهامات لشباب الحركة من التيار الديني بتمسكهم برؤية مرشدهم وعدم قبولهم حوارا من نوع سوى ماتم تحديده لهم، وتسبب قيود المرشد تصديره صورة ذهنية بأن الأخوان وحزب الوسط جوهريا في إفساد وتدمير الحركات الاحتجاجية في مصر.

رابع عشر: لم تخلو الدراسة الميدانية من مؤشرات حول علاقة طبيعة الشخصية المصرية والتفاعل الاحتجاجي الجمعي، فقد شارك الشعب المصري في الحركات الاحتجاجية على طريقته المضادة في التعامل مع السلطة والانتقام من الحاكم، فحينما تأكد أن جهاز الأمن قد سقط هيبة الدولة تلاشت وإنه بقادر على الانتقام فأقدم على تلك الخطوط وجاء برأس النظام في ١٨ يوما.